

احتفاء باليوم العالمي للفلسفة.. هل مازال الإنسان في حاجة إليها

الفلاسفة المحدثون أعادوا إلى الفلسفة صفاءها



الفلسفة ضرورة فكرية (لوحة للفنان فؤاد حمدي)

أسلوبهم في المدرسة الفرنسية (ديدا، لكان، التوسير، دولوز)، فإن الفلاسفة المحدثين في عمومهم أعادوا إليها صفاءها فعادت تنطق بلسان مبين، يفهمه كل راغب.

يقول بول ريكور "كل الفلاسفة يعيشون معنا في الحاضر، وكل الكتب مفتوحة على موانئنا في وقت واحد، فلم لا نجري معهم حوارا دائما قد يساعدا على الإقامة بشكل أفضل في العالم الذي نعيش فيه؟".

أفلاطون وأرسطو مثلا رهانات أساسية لا تزال تجد صداها في مجتمعاتنا، كالعلاقة بين السياسة والمعرفة، ومدى حضور العدل في المدينة الفاضلة.

قد يكون الاهتمام بالفلسفة تراجع في عصر الثورة الرقمية التي صارت تستقطب الدهشة، ولكن الفلسفة كأساس للفكر النقدي المستقل باقية ما بقيت الحياة، ولئن شابهنا تعقيد مع أعلام المدرسة الألمانية (هيجل، كانت، هوسرل، هايدغر) ومن سار على

على الريبة والشك والمسافة التأملية. فمن الذي يجسرو اليوم على القول إن هذا المسعى صار غير راهن، ونحن نغرق في دوامة الحاضر ونجد في إطار اقتصاد الميديا لإبراز ما يمكن أن يشكل حدثا والحال أنه مجرد مساهمة في ترويح الرداءة واللامعنى؟

كل تلك الأسئلة لا تزال تطرح علينا. كذلك القدماء في سعيهم للوصول إلى الحقيقة، وعلاقة الإنسان بالإنسان، ومكانة اللغة وطبيعة المجتمع المثالي. فبين

الحديث، بل يحل أفكارهم ويبسطها بالأملنة الحسية ويتقدها ويردنا إلى مصادرها أحيانا، أو يساهم في رفع المظلمة عن هذا الفيلسوف أو ذاك لأنه لم يفهم على حقيقته (شوبنهاور مثلا).

منه نفهم بسهولة كيف سارت الفلسفة في عصر حداثتها، فبعد تراجع الميتافيزيقا، واختفاء المعالم المتصلة بالتسامي، ظهرت الاستقلالية الفردية مع ديكرت، الذي جعل الكوجيتو (أنا أفكر، إذن أنا موجود) نقطة انطلاق تجربة باثة قاطعة وشهادة عن حرية تنبذ عن طريق الشك.

ولو أن قوة مضلة بسطت هيمنتها على الفرد فإنه يقبل المجازفة بالرفض أو القبول بحرية في الحالين، غير أن حريته هذه لا تؤكد لنا حقيقة العالم، لأنه يبقى في حاجة إلى أن يمنحه الربّ ضمانه.

وعندما أراد كائن أن يجعل من الحرية حجر الزاوية في منظومته، راهن على إعادة الميتافيزيقا، أي التساؤل عن قدرتنا على المعرفة وحدود العقل، فصارت الحرية الإنسانية، كما عند روسو ولو بطريقة مغايرة، الشرط الأساس للفكر والفعل. والحرية هنا هي الاستقلالية الذاتية بالدرجة الأولى، أي قدرة الإنسان على الحكم بنفسه دون اللجوء إلى تقاليد أو سلطة، وذلك بالامتثال للقانون الذي وضعه لأنفسنا وليس الخضوع لمعيارية نظام مفروض من الخارج.

ولكن هل أن تلك الحرية روحانية أم أخلاقية أم سياسية؟ وهل هي تعبير عن طغيان أولوية الفرد أم أن العلاقة بالآخرين هي التي تمنحها صفتها العامة والكونية؟ وكان السؤال المطروح هو كيف يمكن وضع تفصيل بين الحرية والإكراه، الحرية والسلطة، الحرية والأمن؟

أما هيجل فقد رأى أن الحرية تتحقق في التاريخ، وأن تطبيقها، الذي يخص سيروية الإنسانية أكثر مما يخص الفرد، يتم عبر فكرة تطوّر العقل. فكيف نقرأ اليوم، بعد أن انهار اليقين العميق بان الإنسانية تسير نحو آفاق أفضل؟ هل نتخلّى عن فكرة التصرر أو نعيد التفكير فيها؟ إن قراءة هيجل ترغما على أن ننظر إلى عمق هذه القطيعة ونأخذها بعين الاعتبار.

الفلاسفة ضد التعقيد

لئن اشتغل كائن بمسألة الحاضر والزمن الذي يعيش فيه، وفرادة اللحظة التي يكتب فيها، ومدى أحقية ما يحدث بإعمال الفكر فيه، فإن فوكو جعل من فكر كائن منطلقا مؤسسا للحداثة، لأنه يؤكد

سنويا وفي كل ثالث يوم خميس من شهر نوفمبر يحتفل أهل الفلسفة وهواتها بيومها العالمي. وقد جعلته اليونسكو هذه المرة فرصة للتأمل في معنى جائحة كورونا، تأكيدا على دور التأمل الفلسفي في مواجهة الأزمات التي تمرّ بها البشرية، وتحفيزا للفكر النقدي على تلمس أسباب المشكلات القائمة وتحليلها واقتراح حلول لها.

معنى ما ينبتا على سطح العالم، للغوص في كنهه ومساءلة حقيقته.

وكان سقراط يجوب شوارع أثينا يسأل الناس عمّا يتوهمون معرفته والحال أنهم يجهلونه، وعن أفكارهم الجاهزة وقناعاتهم التي لم تتأسس على نظر وتفكير، ولا ينفك يعبر عن حيرته التي تفوق حيرة مناقشيه بقولته الشهيرة "كل ما أعرفه هو أنّي لا أعرف شيئا".

كما أن الدعوة إلى قراءة الفلاسفة لا تعني التعامل مع تاريخ الفلسفة كمادة جامعية يتدارسها المتخصصون في الكليات.

صحيح أن بعض الفلاسفة، رغم أنهم فكروا والفوا في زمن غير زمننا، لا يزالون يخاطبوننا، ولا تزال أفكارهم تجد صداها في راهننا الحارق، ولكن ليست الغاية إضاعة فكرهم من خلال سيرتهم لأن السيرة لا تنبئ إلا قليلا عن الأسئلة التي أثاروها، وإنما الغاية الوقوف عند تلك الأسئلة وتلك المحطات الكبرى التي شكّلت تحولاً في الفكر الإنساني، ومدى ارتباطها بعضها ببعض. وحسب المرء أن يقرأ كتابا مبسطة تساعد على الفهم قبل أن يتجه إلى الأصول.

هذا البولندي فيتولد غمبروفيتش (1904-1969) مثلا سعى إلى إعادة بناء نوع من جينالوجيا الوجودية، بتخيّل رسم "شجرة جينالوجية" جذعها كيركيغارد، حصر فيها الفلاسفة الذين لا غنى عنهم لفهم الفلسفة الوجودية، حيث كتب في يومياته: "بالنسبة إلى ماركس وكذلك كيركيغارد نحتاج إلى هيجل. ولا يمكن أن ندخل إلى هيجل دون أن نعرف "تقد العقل المحض"، الذي مصدره هيوم في جانب منه، ويركلي.

وإذا عدنا أبعد من ذلك، يصبح لزماً علينا أن نقرأ على الأقل أرسطو وشيئا من أفلاطون، دون أن ننسى ديكرت، أبا الفكر الحديث، هذه القراءات تفيد كمدقات لفينومينولوجيا هوسرل التي من دونها لا يمكن أن نقرأ "الكيونة والعدم" لإيمانويل كانت ولا "الكيونة والزمان" لسارتر.

فعل ذلك قبل أن يخصص دروسا موجزة دونها صديقه الفرنسي دومينيك دورو في كتاب "دروس في الفلسفة في العدم" لا يكتفي فيها بتلخيص أفكار أعلام الفكر الفلسفي

أبو بكر العبادي
كاتب تونسي

أقترنت الفلسفة في أذهان الناس بالتعقيد والغموض، حتى أنهم يقولون عمّن يتكلم بغير بيان بأنه يتفلسف، أي يقول كلاما كالججاج لا يفهمه إلا خاضة الخاضة، فقد ظلت الفلسفة حتى في أنظار المتعلمين مادة عسيرة، شبيهة بكتلة مجرّدة، تستعمل رموزا ومصطلحات بعيدة عن الحياة الفعلية والتجربة الحسية، تتعاطاها فئة متعلبة تنتظر إلى العالم نظرة مختلفة وتعيش مغلفة على نفسها.

بل إن ثمة من يدرجها ويورد أعلامها في عداد ماض تولى، لا يرتاده إلا طلاب الجامعات حيث يدرسون تاريخها أكثر من دراسة مدى ملاءمتها لواقعنا الحالي، وثمة من يرى أن علوما أخرى، إنسانية أو صلبة، استولت على جانب كبير من حقولها فكانت أقرب إلى الناس وأكثر فائدة.

فهل يعني ذلك أن الفلسفة انتهت دورها، وأنا صرنا في غنى عنها؟

قراءة الفلسفة

بعض المدافعين عن الفلسفة اليوم يوهمون بان في قراءتها سلوانا يذهب الغمّ والهّم، ووسيلة لتخفيف ضغط الحياة اليومية، وتهديّة الربّ الذي يصيب إنسان هذا العصر، ويتناسون أن الفلاسفة، على مّ العصور، لم يقدموا وصفات "سعادة"، ولا نصائح لتحقيق نجاح ما أو حل مشاكل نفسانية، ولم يقدّموا هداية إلى معالم "حقيقة" تخلص الفرد من عناء الوجود.

الاهتمام بالفلسفة تراجع في عصر الثورة الرقمية التي صارت تستقطب الدهشة، ولكنها باقية ما بقيت الحياة

فقد كانت الفلسفة منذ اليونانيين القدامى تعبيراً عن الدهشة أمام الطواغر والموجبات، بشكل يدفع الإنسان إلى التوقف أمام معنى أو لا

عودة تدريجية للأنشطة الثقافية في تونس وسط جدل كبير

وإضافة إلى ذلك تواجه وزارة الثقافة أزمة مادية حادة، وهو ما جعلها تتخلف عن سداد مستحقات الكثير من الفنانين.

اللجنة العلمية لمجابهة فيروس كورونا تقر تخفيف القيود المسلطة على الأنشطة الثقافية لكن ذلك لم يوقف الجدل

وأخيرا أرسلت النقابة الوطنية المستقلة لمحترفي مهن الفنون الدرامية مضر تنبيه عن طريق عدل منفذ إلى وزارة الشؤون الثقافية، من أجل خلاص مستحقات الفنانين المسرحيين المتخلدة بزمة الوزارة.

وقال الأمين العام للنقابة جمال العروبي، في تصريح لوكالة تونس أفريقيكا للأنباء، إن المهنيين في الفنون الدرامية يجدون أنفسهم اليوم أمام ضرورة الالتجاء إلى عدول التنفيذ للمطالبة بخصاص مستحقاتهم قبل موفى السنة الإدارية والمالية 2020.

وأضاف "هذه خطوة أولى قبل اللجوء إلى القضاء لأن الكيل طمح ولن نستطيع تصديق وعود أخرى"، وفق تعبيره.

في يناير 2021 فتح المركز الوطني لفن العرائس بتونس باب الترشيحات أمام الشباب الراغبين في التخصص في ميدان الصور المتحركة وفن العرائس.

وإضافة إلى ذلك تقرر تنظيم أيام قرطاج السينمائية من 18 إلى 23 ديسمبر القادم، بعد أن كان شبح التاجيل يحوم حولها.

وبخصوص إعداد بروتوكول صحي خاص بتنظيم تونس الدورة الجديدة لأيام قرطاج السينمائية كشف وزير الشؤون الثقافية بالنيابة حبيب عمار أنه يتم حاليا إعداد بروتوكول للعرض وأنه سيكون دقيقا، مؤكدا أنه سيتم عرضه قريبا على اللجنة العلمية للمصادقة عليه.

كما أشرف وزير الشؤون الثقافية بالنيابة مؤخرا على جلسة عمل للنظر في آخر الاستعدادات اللوجيستية والتحضيرات التقنية والفنية لتنظيم الدورة الـ56 من مهرجان قرطاج الدولي لسنة 2021.

لكن العودة التدريجية للحركة الثقافية والفنية جوبهت بانتقادات كثيرة، من بينها كيف يمكن الاعتماد على الفضاء الافتراضي في العروض المسرحية وبعض الحفلات، حيث رأى المهتمون بالشأن الثقافي أنه كان يمكن إقرار العودة الفعلية للأنشطة وفق شروط صحية صارمة.

بالعودة إلى العمل ولو وفق شروط، كبديل عن العطلة وحالة الشلل. وفي المقابل بدأت بغض الأنشطة الثقافية المحلية والوطنية ولو بوتيرة ضعيفة مانحة الأمل إلى مختلف القطاعات الثقافية والفنية الأخرى.

ومن بين المظاهرات التي بدأت تنظيمها فعليا الدورة الأولى للبطولة الوطنية للمطالعة التي انطلقت يوم 15 نوفمبر الجاري وتتواصل إلى مايو 2021، ضمن مشروع وطني يؤمن بالمطالعة ودورها الفعال في بناء مختلف الأبعاد: المعرفية والتعليمية والوجداني والتأهيلية.

وتندرج هذه الدورة في إطار استعداد وزارة الشؤون الثقافية من خلال إدارة المطالعة والمكتبات العمومية لتطوير الخطة الوطنية للترغيب في هذا السلوك الثقافي الاجتماعي وترسيخ قواعده لدى الرواد من مختلف الشرائح العمرية والفئات الاجتماعية.

كما تنظم المندوبية الجهوية للشؤون الثقافية بحافطة الكاف يوم 26 نوفمبر الجاري تظاهرة "تونس تغني صليحة". وهي الفئانة التونسية من الأكثر شهرة. وفي برنامج التظاهرة عدد هام من الفقرات والمسابقات، وتنظم تحت شعار "الحفاظة على الخصوصية والإنفتاح على التجارب الفنية".

وفي إطار إعداد مشروعه "سينما العرائس والتحرك" الذي ينطلق

العرض وإلغاء معارض الكتب المحلية والدولية، إضافة إلى تاجيل تظاهرات كبرى مثل أيام قرطاج المسرحية، وتوقف النشاط بهذا الشكل يهدد القطاع الثقافي والفني بشكل جدي.

ودفع هذا التهديد الكثير من الفنانين إلى الاحتجاج على قرارات الغلق التي توختها الحكومة التونسية من بينهم الموسيقيون، الذين قاموا باعتصام مفتوح بساحة الحكومة بالقصبة بداية يوم 16 نوفمبر الجاري، مطالبين

وإلا تتجاوز 50 في المئة واحترام البروتوكول الصحي. ويقصد بالأنشطة التراثية الأنشطة داخل المتاحف والمعالم والمواقع.

وقررت اللجنة أيضا أن يقع تقسيم زوار المتاحف إلى مجموعات محدودة في العدد لتأمين مبدأ التباعد الجسدي والتدابير الوقائية.

وعاشت أغلب القطاعات الثقافية أزمة كبيرة بعد انتشار جائحة كورونا وما فرضته من إغلاق للمسارح وقاعات



الإجراءات الصحية تخص الفنانين والجمهور

تونس - قررت اللجنة العلمية لمجابهة فيروس كورونا في تونس تخفيف القيود المسلطة على الأنشطة الثقافية واستئناف عدد منها تدريجيا، مع مراعاة احترام البروتوكول الصحي، وذلك بداية من يوم الإثنين القادم الموافق لـ23 نوفمبر.

وأفاد وزير الصحة التونسي فوزي مهدي وزير السياحة والشؤون الثقافية بالنيابة، في الندوة الصحفية الدورية للجنة العلمية التي انعقدت أخيرا بتونس، بأنه تم الاتفاق على السماح بتنظيم الورشات والتمارين وحفلات التكوين في المجالات الثقافية والفنية والأمسيات الشعرية، مع مراعاة التدابير الوقائية اللازمة كالتباعد الجسدي وارتداء الكمامات.

وتقرر أيضا تنظيم الإقامات الفنية مع احترام التدابير الوقائية والسماح بممارسة الأنشطة الخاصة بالأروقة الفنية والمكتبات مع اعتماد بروتوكول صحي خاص.

وقررت اللجنة العلمية كذلك وفق عضوي الحكومة تأمين بعض العروض وبثها ببرنامج "السوريمينق" كالعروض الموسيقية والشعرية و"الكوريفافية" والمسرحية.

وفي مجال التراث تم الاتفاق على الإقتصار على الأنشطة التي لا تستهدف حضور جمهور كبير مع احترام طاقة استيعاب الفضاءات الثقافية